

رياض الحج

تأليف

شائع بن محمد العديسي

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشرق جدة

جدة - طريق مكة القديم - كيلو ١٢ - بجوار مستوصف سابا الطبي

هاتف: (٦٢٠٠٠٥) - الرقم الموحد: (٩٢٠٠ ٢٠٥٥٢) فاكس: (٦٢٤٠٢٩٨) - ص. ب: (١٠٢١٢٧) جدة (٢١٣٢١)

رقم الحساب: (٣٧٨٦٠٨٠١٠٠٧٤٠٠٧) مصرف الراجحي



رياض الحجيج



تأليف

شائع بن محمد الفبيشي

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م





﴿ المقدمة ﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ؕ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾^(٢).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾^(٣).

أما بعد:

رياض الحجيج جولة إيمانية تربوية، يمتع فيها الوافد إلى الله عزَّ وجلَّ قلبه وفكره، يتذوق من خلالها لذة الأُنس ونعيم القرب، فيشرح صدره وتسعد روحه، وينعم بلذة الإيمان وسعادة الحياة التي عبر عنها القرآن بالحياة الطيبة حين قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب (الآيات ٧٠-٧١).

(٤) سورة النحل ٩٧.

وعبر عنها السلف الصالح بقولهم: مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا: «وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به والشوق إلى لقاءه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه».

حتى قال بعضهم في وصف تلك السعادة: «إنه لتمر بي أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب»^(١).

فهذه الرياض هي جنة الدنيا التي قال عنها شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة»^(٢).

هدف هذه الرياض أن تحج ببدنك وقلبك تنتقل من روضة إلى روضة تتذكر بها سير الأولين وسنن السابقين وكلك أمل أن تلحق بهم وتنضم إلى ركبهم فتذوق ما ذاقوا.

رياض الحجيج تعرفك السبيل إلى ميلاد القلب وحياة الروح والخلاص من ركام الذنوب وثقل الخطايا.

رياض الحجيج ترسم لك طريق الحج المبرور الذي يكون مهرك لجنة عرضها السموات والأرض.

رياض الحجيج تحلق بك في عالم المشتاقين وتظلللك بأفياء العاشقين فتملاً القلب شوقاً إلى ما اشتاقوا إليه.

رياض الحجيج تستكشف لك أسرار رحلة الحجيج ودروسها وحكمها وتأخذ بك لتذوق لذة تلك المعاني لتصبح واقعاً تعيشه في حياتك.

(١) الوايل الصيب من الكلم الطيب «ص: ٤٨»

(٢) المصدر السابق.



هذه بعض معالم رياض الحجيج أضعها بين يديك لتكون حاديك في رحلتك إلى بلاد الأمن والبركات والأنس والمسرات بلاد أفراح الدنيا وطريقك لأفراح الآخرة .

اللهم تقبلها بقبول حسن وانفع بها كاتبها وقارئها واجعلها خالصة لوجهك الكريم، أنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك .

شائع بن محمد الفبيشي

مشرف تربوي بإدارة التعليم بمحافظة القنفذة

البريد الإلكتروني : shaei1406@gmail.com

الجمعة ٢٢ / ٧ / ١٤٣٧ هـ



﴿ غنائم الوفود ﴾

حقيقة الحج هو استزارة الرب لأحبابه... أوفدهم إلى كرامته ودعاهم إلى فضله وإحسانه، ليسبغ عليهم من النعم والكرامات وأصناف الهبات ما لا تدركه العبارة ولا يحيط به الوصف؛ فنوع لهم الأنسك والمشاعر لينوع لهم الإحسان، ونقلهم من كرامة إلى كرامة، ومن مائدة من موائد فضله إلى مائدة من موائد كرمه^(١)، فالوافد إلى ربه عزَّجَلَّ يَفِدُ إليه وكله طمع أن ينال من فيض بره وعظيم كرمه وجزيل هباته، كيف لا وهو ضيف الرحمن، كيف لا وهو يَفِدُ إلى بيته الذي فيه من الهبات والكرامات ما يجعل القلوب تحن إليه وتتعلق به إذ فيه خاصية الجذب لقلوب المؤمنين فهو مغناطيس الأفئدة قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾^(٢) جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه، ولا تقضي منه وطرا، ولو ترددت إليه كل عام.^(٣)

جُعِلَ الْبَيْتُ مَثَابًا لَهُمْ لَيْسَ مِنْهُ الدَّهْرَ يَقْضُونَ الْوَطْرَ

إن الحج... استزارة المحب لأحبابه، وإيفادهم إليه، ليحظوا بالوصول إلى بيته، ويتمتعوا بالتنوع في عبوديته والذل له والانكسار بين يديه، وسؤالهم جميع مطالبهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية في تلك المشاعر العظام والمواقف الكرام، ليجزل لهم من قراه وكرمه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وليحط عنهم خطاياهم ويرجعهم كما ولدتهم أمهاتهم، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.^(٤)

(١) الإمام السعدي، مجمع الفوائد واقتناص الأوابد ص ٢٣٤ .

(٢) سورة البقرة ١٢٥ .

(٣) الإمام ابن كثير تفسير القرآن العظيم «١ / ٤١٣»

(٤) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب «ص: ١٤٨»



فيا لله ما أجل العطايا وما أجزل الهبات وما أعظم البركات من ربِّ برِّ كريم جواد وسعت رحمته كل شيء له خزائن السموات والأرض فطوبى لمن ظفر بالوفود إلى ربه **عَزَّجَلَّ** ليحوز تلك الغنائم التي نذكر بعضها في الأسطر القادمة وهي:

❖ أولاً: بركات البيت :

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾^(١) والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدم ولا أنفع للخلائق^(٢)

● فمن البركات التي يحوزها من وفد إلى بيت الله:

١ (البركة في البدن وسلامته من الآفات والأدواء والأمراض فإن الوفود إلى بيت الله يكسب الوافد قوة وصحة وعافية. ففي هذا البيت ماء زمزم الذي فيه شفاء لأسقام البدن وعلله فهو كما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعامٌ من الطعم وشفاءٌ من السقم...»^(٣). وقال عنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «ماء زمزم لما شرب له»^(٤).

٢ (البركة في العمر، فيبارك الله في أيام العبد وسنوات عمره فيعمل فيها من الأعمال ما يعجز عنه غيره ويكون منتجاً نافعاً لنفسه وغيره.

٣ (البركة في العلم خاصة من اشتغل في الحج بتعليم الناس ودعوتهم إلى الله **عَزَّجَلَّ** فإن الله يفتح له من مغاليق العلم ما لا يعلمه إلا هو سبحانه.

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد «٢ / ٤٦١»

(٣) رواه الطبراني وصححه الألباني

(٤) رواه الإمام أحمد والدارقطني وحسنه الألباني



٤ (البركة في الرزق، فيبارك الله له في ماله ويرزقه من حيث لا يحتسب وينفي عنه أسباب الفقر والحاجة .

٥ (البركة في الذرية، بأن يجعلها ذرية صالحة مستقيمة على أمر الله عزَّوجلَّ .

من وفد إلى بيت الله عزَّوجلَّ يلتمس هذه البركات فسيناله منها أوفر الحظ والنصيب، أفاض الله علينا من بركاته .

❖ ثانياً: الهداية :

وصف الله بيته بقوله: ﴿وَهَدَى لِلْعَلَمِينَ﴾^(١) أي أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى.^(٢) فمن وفد إلى بيت الله زاده الله هدى وصلاًحاً واستقامة وأفاض عليه موارد التوفيق وثبته وسدده وكم من أناس وفدوا إلى بيت الله وقد كانوا أبعد ما يكونون عنه فقرهم سبحانه إليه بعد البعد وهداهم بعد الضلال تلك والله الغنائم .

❖ ثالثاً: الأمن :

تأمل قول الله جَلَّ وَعَلَا لِمَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٣) وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٤): فالوفود إلى بيت الله يحقق للعبء الأمن الفكري والنفسي والصحي، والأمن على النفس والمال، ويفيض الله على قلب العبد من الراحة والاستقرار والطمأنينة والأنس والسعادة والهناء ما لا يخطر له على بال .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) الإمام ابن القيم، بدائع الفوائد (٢ / ٤٦١)

(٣) سورة آل عمران ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ١٢٥ .



❖ رابعاً: اكتساب الحسنات الكثيرة ومحو السيئات الوفيرة :

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحتك، يكتب الله بها لك حسنة، ويمحو عنك بها سيئة وأما وقوفك بعرفة فإن الله عَزَّجَلَّ ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي، جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي ولم يروني فكيف لو رأوني؟ فلو كان عليك مثل رمل عالج^(١)، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك»^(٢).

❖ خامساً: نفي الفقر عن العبد :

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»^(٣).

❖ سادساً: استجابة الدعاء :

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي قال: «الغازي في سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم»^(٤).

(١) «رمل عالج» قال الطيبي: موضع بالبادية فيه رمل كثير «تحفة الأحوذى» ٢٤١ / ٩

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف والطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن خزيمة وصححه الألباني

(٤) رواه ابن ماجه وابن حبان وحسنه الألباني

❖ سابعاً: الظفر بالضمان والحفظ الإلهي :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثة في ضمان الله عزَّ وجلَّ: رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله، ورجل خرج غازياً في سبيل الله، ورجل خرج حاجاً»^(١).

❖ ثامناً: الفوز بأجر الجهاد :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد. قال: «لكن أفضل الجهاد حج مبرور»^(٢).

❖ تاسعاً: أجر تلبية الشجر والحجر :

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُلَبِّي إِلَّا لَبَّى مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ مِنْ حَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ مَدْرٍ، حَتَّى تَنْقَطِعَ الْأَرْضُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا»^(٣).

لطيفة: قال الألباني رَحِمَهُ اللهُ: فإن قيل: ما فائدة المسلم في تلبية الأحجار والشجر وغيرهما مع تلبيته؟

قلت: اتباعها إياه في هذا الذكر دليل على فضيلته وشرفه ومكانته عند الله تعالى إذ ليس اتباعها إياه في هذا الذكر إلا لذلك. على أنه يجوز أن يكتب له أجر هذه الأشياء لأنها صدرت عنها تبعاً، فصار المؤمن بالذكر كأنه دالٌّ على الخير^(٤)

(١) رواه أبو نعيم وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٤) صحيح الترغيب والترهيب «٢/ ٢٣»



❁ عاشرًا: العتق من النار :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟»^(١).

❁ الحادي عشر: البشارة بالجنة :

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا أَهْلٌ مُهَلٌّ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ، وَلَا كَبْرٌ مُكَبَّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ» قيل: يَا رَسُولَ اللهِ، بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٢).

تلك بعض غنائم الوفود إلى بيت الله عَزَّجَلَّ فطوبى لمن ظفر بالوفود وفاز بالورود ولحق بركائب الراحلين وحُق للنفوس أن تتوق وللقلوب أن تشتاق.



(١) رواه مسلم

(٢) رواه الطبراني، وحسنه لغيره الألباني



﴿ ميلاد إلى الجنة ﴾

انبثاق الوليد وخروجه من بطن أمه إلى الدنيا يبعث على الفرح والسرور والغبطة، فكل من حوله يفرحون بمقدمه:

ولدتك أمك يا بن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سروراً

يأسرهم فيه نقاء سريرته وبراءة نفسه وصفاء فطرته التي خلقه الله عليها لم تدنس بمعصية ولم تلوث بذنوب فما أجمل قهقهته وابتسامته، وما أروع دلاله وحركاته، ولكن كل هذه الأحداث تمر به وهو لا يدرك منها شيئاً فهو لا يشعر باللذة التي يشعر بها من حوله ممن فرحوا بمقدمه .

والسؤال هل يمكن للكبير أن يولد من جديد؟ هل يمكن أن يعود إليه ذلك الصفاء والنقاء؟ وهل يمكن لفطرته أن تعود زكية سوية كما كانت يوم خرج من بطن أمه؟ هل يمكن له أن يتذوق لذة ميلاده الجديد؟

نعم يمكن أن يولد العبد مرة أخرى ويعود إليه الصفاء والنقاء، وذلك من عظيم فضل الله ومنتته وجميل بره وإحسانه، استمع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يصف هذا الميلاد فيقول: «إِذَا طُفْتُ بِالْبَيْتِ خَرَجْتَ مِنْ ذُنُوبِكَ كَيَوْمِ وَلَدْتِكِ أُمِّكَ»^(١).

إن هذا الميلاد يختلف عن ميلاد العبد من بطن أمه، فهو أعظم وأجل والفرحة به ينبغي أن تكون أشد من فرحنا بالميلاد الأول، لأنه ميلاد يقود إلى جنة الله فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْعُمْرَةُ إِلَى

(١) رواه عبد الرزاق والطبراني وحسنه الألباني



الْعُمْرَةَ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجَّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١).

والسؤال هنا: متى يكون الحج ميلاً جديداً للعبد يقوده إلى جنة عرضها السموات والأرض؟

تعال معي أخي المبارك نستعرض بعض نصوص الوحيين وبعض أقوال العلماء في الحج المبرور لتتعرف كيف نولد هذا الميلاد؟ :

(١) قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴾^(٢)

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٣).

(٣) عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أي الأعمال أفضل قال: «العج والشج»^(٤).

(٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ» «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَرُّ الْحَجِّ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ»^(٥).

(٥) قال ابن عبد البر رحمه الله: وأما الحج المبرور فقليل هو الذي لا رياء فيه

(١) رواه مسلم

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

(٣) رواه البخاري ومسلم

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٥) رواه الحاكم والإمام أحمد وحسنه الألباني.

ولا سمعة ولا رفث فيه ولا فسوق، ويكون بمال حلال والله اعلم وبالله التوفيق. (١)

٦ (قال النووي رَحْمَةُ اللَّهِ: الأصح الأشهر في المبرور: هو الذي لا يخالطه إثم مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل هو المقبول، ومن علامة القبول أنه يرجع خيراً مما كان ولا يعاود المعاصي، وقيل هو الذي لا رياء فيه، وقيل الذي لا يتعقبه معصية وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفير بعض ذنوبه بل لا بد أن يدخل الجنة. (٢)

٧ (قال ابن رجب رَحْمَةُ اللَّهِ: فالحج المبرور ما اجتمع فيه أعمال البر مع اجتناب أعمال الإثم فما دعا الحاج لنفسه ولا دعا له غيره بأحسن من الدعاء بأن يكون حجه مبروراً ولهذا يشرع للحاج إذا فرغ من أعمال حجه وشرع في التحلل من إحرامه برمي جمرة العقبة يوم النحر أن يقول: «اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً» وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عمر من قولهما ... وكذلك يدعى للقادم من الحج بأن يجعل الله حجه مبروراً. (٣)

٨ (قيل الحج المبرور: هو الذي عمل فيه الحاج الواجبات والمستحبات وترك المكروهات.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد «٢٢ / ٣٩»

(٢) تنوير الحوالك «١ / ٢٥٢»

(٣) لطائف المعارف ص ٦١

✽ ونخلص مما سبق أن العبد يمكن أن يكون حجه مبروراً إذا اتصف حجه بالتالي :

أولاً: تحقيق توحيد الله والبعد عن الشرك، فالحاج يلهج بالتهليل والتوحيد من بداية المنسك إلى نهايته شعاره «لبيك اللهم لبيك....» وشعاره يوم عرفة أفضل ما قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والنيون من قبله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وشعاره يوم العيد وأيام التشريق: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد».

ثانياً: الإخلاص لله **عَزَّ وَجَلَّ** والبعد عن الرياء والسمعة وقد كان أول ما قاله النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عند إهلاله بالحج: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»^(١).

ثالثاً: متابعة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** والتعرف على هديه في الحج والاهتداء به فقد هتف بنا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قائلاً: «لتأخذوا مناسككم»^(٢) ومن أجمل ما كتب في ذلك كتاب أحوال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحج للبعداني ومن أفضل كتب أحكام الحج المختصرة الكتاب المبارك الذي ألفه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** التحقيق والإيضاح.

رابعاً: التزود من التقوى والبعد عن الرفث والفسوق والتوبة من جميع الذنوب والمعاصي ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٤).

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان وصححه الألباني

(٢) رواه مسلم

(٣) سورة البقرة ١٩٧.

(٤) رواه مسلم

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: معنى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»: أن الإنسان إذا حج واجتنب ما حرم الله عليه من الرفث وهو إتيان النساء، والفسوق وهو مخالفة الطاعة، فلا يترك ما أوجب الله عليه، ولا يفعل أيضاً ما حرم الله عليه، فإن خالف فهذا هو الفسوق. فإذا حج الإنسان ولم يفسق ولم يرفث فإنه يخرج من ذلك نقيماً من الذنوب، كما أن الإنسان إذا خرج من بطن أمه فإنه لا ذنب عليه، فكذلك هذا الرجل إذا حج بهذا الشرط فإنه يكون نقيماً من ذنوبه». (١)

خامساً: الحرص على ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (١١٨) (٢) فذكر الله هو الغاية العظمى من الحج وإنما شرع الحج لإقامة ذكر الله

سادساً: اللهج بالتلبية ورفع الصوت بها فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من ملب يلبي إلا لبي ما عن يمينه وعن شماله من شجر وحجر حتى تنقطع الأرض من هنا وهنا» (٣).

وفي رواية: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أي الأعمال أفضل قال: «العجج والشجج» (٤).

سابعاً: ملازمة الاستغفار والإكثار منه خاصة في ختمة منسك الحج قال تعالى:

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين «٢١ / ٢٢»

(٢) سورة البقرة ١٩٨.

(٣) رواه ابن ماجه والطبراني وصححه الألباني

(٤) رواه ابن ماجه وصححه الألباني

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

ثامناً: الإكثار من الدعاء والتهج به والحرص على أدعية الأنبياء وتتبع حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك والإكثار من قول: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢).

تاسعاً: الإحسان إلى الناس بالقول والفعل فقد سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بُرِّ الحَجِّ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الكَلَامِ» (٣).

عاشراً: الحرص على النفقة الحلال، فإن من أعظم ما ينفقه العبد من ماله ما كان في الوفود إلى بيت الله فعن بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّفَقَةُ فِي الحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ» (٤).

وما أنفس كلام الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن مثل هذه النفقة حيث قال: فأفضل ما أنفقت فيه الأموال، وأعظمه عائدةً، وأكثره فوائد إنفاقها في الوصول إلى المحبوب وإلى ما يحبه المحبوب، ومع هذا فقد وعدهم بإخلاف النفقة، والبركة في الرزق، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (٥).

وأعظم ما دخل في هذا الوعد من الكريم الصادق إنفاقها في هذا الطريق، وأفضل ما ابتدئ به العبد قوته واستفرغ له عمل بدنه هذه الأعمال التي هي حقيقة الأعمار.

(١) سورة البقرة ١٩٩.

(٢) سورة البقرة ٢٠١.

(٣) رواه الحاكم والإمام أحمد وحسنه الألباني.

(٤) رواه الإمام أحمد وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٥) سورة سبأ: ٣٩.

فَحَقِيقَةُ عُمَرِ الْعَبْدِ مَا قَضَاهُ فِي طَاعَةِ سَيِّدِهِ، وَكُلُّ عَمَلٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لَيْسَتْ بِهَذَا السَّبِيلِ فَهِيَ عَلَى الْعَبْدِ لَا لِلْعَبِيدِ. ثُمَّ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَذَكُّرِ حَالِ الْعَابِدِينَ وَأَصْفِيَاءِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. (١)

فينبغي للحجاج أن يحرص على النفقة الطيبة الحلال ويحذر كل الحذر من النفقة الحرام فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ (٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...» (٣).

وأعظم نفقة ينبغي أن يحرص المسلم على أن تكون طيبة حلالاً النفقة التي يحجج بها إلى بيت الله الحرام وما أجمل قول القائل:

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

تلك بعض علامات الحج المبرور، فدونك أيها الراغب في ميلاد الجنان هذه المعالم عض عليها بالنواجذ لتنال الفوز بهذا الميلاد.

أسأل الله الحي القيوم أن يرزقنا حجة مبرورة نولد بها من جديد تخلصنا من أدران الذنوب والخطيئة إنه سميع قريب مجيب.



(١) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب «ص: ١٤٨»

(٢) سورة البقرة ٢٦٧.

(٣) رواه مسلم



{ أشواق }

ما سر انجذاب القلوب إلى بيت الله الحرام؟ لماذا كلما زاره العبد ازداد له شوقاً وبه تعلقاً وعليه إقبالاً؟ لقد صدق من وصفه بمغناطيس القلوب فما سر هذه الأشواق؟

تعالوا معنا نتعرف على إجابة هذا السؤال ثم نعرض بعض القصص والأخبار عن أشواق الصالحين لبيت الله الحرام يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١) ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٢)

أذن إبراهيم في الناس بالحج فأجابوا، ودعاهم فلبوا ... جاءوا إليه رجالاً على أرجلهم، وركبانا على كل ضامر، جاءوا للحج من كل فج، الشوق يحدوهم والرغبة تسوقهم .. فهل مرَّ بك ركب أشرف من ركب الطائفين، وهل هزَّك نغم أروع من تلبية الملبين.

ها هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي لنا أشواق نبيين من أنبياء الله عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فعندما مرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بوادي الأزرق في طريقه إلى البيت الحرام فسأل أصحابه: «أي واد هذا؟» قالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «كأني أنظر إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو هابط من الشنية وله جوارٌ إلى الله عَزَّجَلَّ بالتلبية»، حتى أتى على ثنية هرشاء، فقال: «أي ثنية هذه؟» قالوا: ثنية هرشاء. قال: «كأني انظر إلى يونس بن متى على ناقه

(١) سورة البقرة ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

حمراء جَعْدَة، عليه جُبَّةٌ من صوف، خطام ناقتة خُلْبَة^(١) وهو يَلْبِي^(٢).

فله ما أروع الذكريات وما أجمل الأشواق، وسبحان من قذف في قلوب العباد الحب والحنين إلى بيته الحرام، فلا القلب يهنأ ولا العين تفر إلا بزيارة هذا البيت، والتنقل في مشاعره فسبحان من جعله مثابة للناس.

«إن من عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثل بمعاهدنا الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجاميع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفناً لفراقها متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفاة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله تلقاها مسروراً مستبشراً، كأنه لم يذق لها مرارة، ولا كابد محنة، ولا نصباً. إنه لأمر إلهي وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقتها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين، ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثل بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين: الدنيا والأخرى؛ فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه^(٣)»

(١) قال هشيم: يعني ليف

(٢) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

(٣) رحلة ابن بطوطة «١ / ٩٨»



الآن حرك قلبك برحلة الأشواق، تجول في رياض الصالحين وأخبار المشتاقين من السلف والخلف مع بعد الشقة، وصعوبة الترحال، وقلة الظهر، وشدة الحال. إنه حديث الشوق إلى أرض الرحمات، الشوق إلى أرض العطايا والهبات فحق للنفوس أن تتوق وحق للأرواح أن تحلق أملاً في الوصال، فخذ من خبرهم ما يبعث فيك الرغبة، ويحرك في قلبك الشوق تعال معي نستعرض بعض حديث الأشواق :

١) قدم ابن جريج وافداً على معن بن زائدة لدين لحقه فأقام عنده إلى عاشر ذي القعدة فمر بقوم تغني لهم جارية بشعر أمية بن ربيعة :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن
تالله قولي له في غير معتبة ما ذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها فما أصبت بترك الحج من ثمن

قال فبكى ابن جريج وانتحب وأصبح إلى معن وقال: إن أردت بي خيراً فردني إلى مكة ولست أريد منك شيئاً قال: فاستأجر له أدلاء وأعطاه خمسمائة دينار ودفع إليه ألفاً وخمسمائة فوافى الناس يوم عرفة. (١)

٢) حج الشبلي، فلما وصل إلى مكة جعل يقول: أبطحاء مكة هذا الذي أراه عياناً وهذا أنا؟! ثم غشي عليه، فأفاق وهو يقول:
هذه دارهم وأنت محب ما بقاء الدموع في الآماق (٢)

(١) / سير أعلام النبلاء «٦/ ٣٣٦»

(٢) / مشير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن «ص ٣٨٩»

٣) عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: دخل مكة قومٌ حجاج ومعهم امرأة وهي تقول: أين بيت ربي؟ فيقولون: الساعة ترينه . فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك، أما ترينه؟ فخرجت تشد وتقول: بيت ربي، بيت ربي، حتى وضعت جبهتها على البيت . فوالله ما رفعت إلا ميتة. (١)

٤) خرجت أم أيمن بنت علي - امرأة أبي علي الروذباري - من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء والجمال تمر بها وهي تبكي وتقول: واضعفاه، وتنشد على إثر قولها:

فقلت: دعوني واتباعي ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد
وما بال زعمي لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لي منهم بد

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت؟! (٢)

٥) وهذا ابن السيد البطليوسي تعبت بقلبه الأشواق فينشد قائلاً:

أمكئة تفديك النفوس الكرائم ولا برحت تنهلُ فيك الغمامُ
وكُفْتُ أكفُ سوء عنك وبلَّغت مُناها قلوبٌ كي تراك حوائمُ
فإنك بيتُ الله والحرمُ الذي لعزته ذل الملوك الأعظمُ
وقد رُفعت منك القواعدُ بالتقى وشادتك أيدٍ برّةٌ ومعاصمُ
ومن أين تعدوك الفضائلُ كلها وفيك مقامات الهدى والمعالمُ
ألهنّي لأقدارٍ عدت عنك همّتي فلم تنتهض منّي إليك العزائمُ

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف ابأماكن ص ٣٧٨

(٢) المصدر السابق «ص ١٢١»



فيا ليت شعري هل أرى فيك داعياً
وهل تمحون عني خطايا اقترفتها
وهل لي من سقيا حجيجك شربة
وهل لي في أجر الملبين مقسم
وكم زار مغناك المعظم مجرم
ومن أين لا يضحى مرجيك آمناً
لئن فاتني منك الذي أنا رائم
وإن يحمني حامي المقادير مقدماً
عليك سلام الله ما طاف طائف
إذا نسّم لم تهد عني تحية

إذا ما دعت لكه فيك الغمام
خطى فيك لي أو يعملات رواسم
ومن زمزم يروي بها النفس حائم
إذا بذلت للناس فيك المقاسم
فحطت به عنه الخطايا العظام
وقد أمنت فيك المها والحمائم
فإن هوى نفسي عليك لدائم
عليك فإني بالفؤاد لقادم
بكعبتك العليا وما قام قائم
إليك فمهديتها الرياح النواسم^(١)

٦ (وهذا أبو محمد عبد الله بن عثمان النَّحْوِيُّ يصف حال بعض أهل
المغرب في الشوق إلى مكة فينشد قائلاً :

يحن إلى أرض الحجاز فؤادي
ولي أمل ما زال يسمو بهمتي
بها كعبة الله التي طاف حولها
لأقضي فرض الله في حج بيته
أطوف كما طاف النبيون حوله
وأستلم الركن اليماني تابعا
وأركع تلقاء المقام مصليا
وأسعى سبوعا بين مروة والصفاء

ويحدو اشتياقي نحو مكة حادي
إلى البلدة الغراء خير بلاد
عباد هم لله خير عباد
بأصدق إيمان وأطيب زاد
طواف قياد لا طواف عناد
لسنة مهدي وطاعة هادي
صلاة أرجيها ليوم معاد
أهل لربي تارة وأنادي

(١) التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم (٢/ ٢٧) وقلائد القياح ص ٢٠٠

وأتي منى أقضي بها التفث الذي يتم به حجي وهدى رشادي
 فيا ليتني شارفت أجبل مكة فبت بواد عند أكرم وادي
 ويا ليتني رويت من ماء زمزم صدا خاله بين الجوانح صادي^(١)

(٧) هذا يحيى بن بقي أبو بكر المعروف بالسلاوي أضناه الشوق إلى بيت الله الحرام وتعذر عليه الوصول إليه فأطلق الزفرات والآهات حزناً على عدم المثل في تلك البقاع وتمنى أنه التربة التي تمر عليها عيس الحجيج فينشد قائلاً:

يا حُداة العيس^(٢) مهلاً فعسى يبلغ الصبُّ لديكم أملاً
 لا أخاف الدهر إلا حادياً ظلتُ أخشاه وأخشى الجملاً
 أودعوني حُرَقاً إذ ودّعوا غادروا القلب بها مشتعلاً
 أه من جسم غدا مُستوطناً وفؤادٍ قد غدا مُرتحلاً
 شُعبة شرقاً وأخرى مغرباً منْ لهذين بأن يشتملاً
 كيف أنتم سمح الله لكم كيف ودعتم هناك الرُّسلاً
 كيف لم تنضح قلوبٌ حُرَقاً كيف لم تجر عيونٌ هملاً؟
 لَيْتَ أُنِي تربةً الوادي إذا مرتِ العيسُ لثمتُ الأزجلاً^(٣)

وإذا كان التاريخ قد حفظ قصصاً من أخبار المشتاقين الذين تقطعت قلوبهم شوقاً للبيت ورغبة في الحج، ففي عصرنا الحاضر قصص لأقوام لم تلههم تجارة ولم تفتنهم حضارة، فسبحان من يلقي الشوق والرغبة في قلب من شاء من عباده فهاكم بعض قصصهم:

(١) مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ط دار الحديث «ص: ٤٤٦»

(٢) العيس: الإبل البيض

(٣) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس «١/ ٤٩٩»



١) يروي الشيخ أحمد الصويان قصة عجيبة للشيخ الحاج عثمان دابو رَحْمَةُ اللَّهِ مِنْ جُمْهُورِيَةِ جَامِبِيَا فِي أَقْصَى الْغَرْبِ الْإِفْرِيْقِي يَقُولُ: زَرْتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ الْمَتَوَاضِعِ فِي قَرْيَتِهِ الصَّغِيرَةِ قَرَبِ الْعَاصِمَةِ بَانْجُولِ وَقَدْ تَجَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنْ عَمْرِهِ، وَحَدَّثَنِي عَنْ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ قَبْلَ خَمْسِينَ عَامًا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ مَعَ أَرْبَعَةٍ مِنْ صَحْبِهِ مِنْ بَانْجُولِ إِلَى مَكَّةَ.

قال: لما سألته عن الدافع لهذه الرحلة: تذاكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عندما ذهب بأهله إلى واد غير ذي زرع عند بيت الله المحرم، فقال أحدنا: نحن الآن شباب أقوىاء أصحاب، فما عذرنا عند الله تعالى إن نحن قصرنا في المسير إلى بيته المحرم؟! فهَيَّجْنَا وَاسْتَحْتْنَا عَلَى السَّفَرِ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

خرج الخمسة من دُورهم وأصابهم في طريقهم من المشقة والضيق والكره ما الله به عليم؛ فكم من ليلة باتوا فيها على الجوع حتى كادوا يهلكون؟! وما الله به عليم؛ فكم من ليلة طاردتهم السباع، وفارقهم لذيد المنام؟! وكم من ليلة أحاط بهم الخوف من كل مكان؛ فْقَطَّاعَ الطَّرِيقِ يَعْرِضُونَ لِلْمَسَافِرِينَ فِي كُلِّ واد؟!!

قال الشيخ عثمان: لُدغَت ذات ليلة في أثناء السفر، فأصابتني حمى شديدة وألم عظيم أقعدني وأسهرني، وشممت رائحة الموت تسري في عروقي فكان أصحابي يذهبون للعمل، وكنت أمكث تحت ظل شجرة إلى أن يأتوا في آخر النهار، فكان الشيطان يوسوس في صدري: أَمَا كَانَ الْأَوْلَى أَنْ تَبْقَى فِي أَرْضِكَ؟!!

لماذا تكلف نفسك ما لا تطيق؟! ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط؟! فثقلت نفسي وكدت أضعف، فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي، فالتفتُ عنه ومسحت دمعة غلبتني، فكأنه أحس ما بي! فقال: قم

فتوضأ وصل، ولن تجد إلا خيراً بإذن الله فانشرح صدري، وأذهب الله عني الحزن، والله الحمد.

كان الشوق للوصول إلى الحرمين الشريفين يحدوهم في كل أحوالهم ويخفف عنهم آلام السفر ومشاق الطريق ومخاطره، مات ثلاثة منهم في الطريق كان آخرهم في عرض البحر، واللطيف في أمره أن وصيته لصاحبيه قال لهما فيها: إذا وصلتما إلى المسجد الحرام، فأخبرا الله تعالى شوقي للقائه، واسألاه أن يجمعني ووالدتي في الجنة مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

قال الشيخ عثمان: فلما وصلنا إلى جدة مرضت مرضاً شديداً وخشيت أن أموت قبل أن أصل إلى مكة المكرمة، فأوصيت صاحبي أنني إذا مت أن يكفني في إحرامي، ويقربني قدر طاقته إلى مكة، لعل الله أن يضاعف لي الأجر، ويتقبلني في الصالحين.

مكثنا في جدة أياماً، ثم واصلنا طريقنا إلى مكة، كانت أنفاسي تتسارع والبشر يملأ وجهي، والشوق يهزني ويشدني، إلى أن وصلنا إلى المسجد الحرام.

وسكت الشيخ قليلاً.. وأخذ يكفكف عبراته، وأقسم بالله تعالى أنه لم ير لذة في حياته كتلك اللذة التي عمرت قلبه لما رأى الكعبة المشرفة!

ثم قال: لما رأيت الكعبة سجدت لله شكراً، وأخذت أبكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الأطفال، فما أشرفه من بيت وأعظمه من مكان!

ثم تذكرت أصحابي الذين لم يتيسر لهم الوصول إلى المسجد الحرام فحمدت الله تعالى على نعمته وفضله عليّ، ثم سألته سبحانه أن يكتب خطواتهم

وَألا يحرمهم الأجر، وأن يجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.^(١)

(٢) قال الشيخ إبراهيم الدويش: ذكر لي أحد الثقات العاملين على استقبال الحجاج في مدينة جدة أن طائرة تحمل حجاجاً من إحدى الدول الآسيوية وصلت في ثلث الليل الأخير أحد الأيام. قال: كان أول الوفد نزولاً امرأة كبيرة السن فما أن وطئت قدماها الأرض إلا وخرت ساجدة. قال: فأطالت السجود كثيراً حتى وقع في نفسي خوف عليها. قال: فلما اقتربنا منها وحركناها فإذا هي جثة هامدة. فعجبت من أمرها وتأثرت بحالها فسألت عنها فقالوا: منذ ثلاثين سنة وهي تجمع المال درهماً درهماً لتتحج إلى بيت الله الحرام.

(٣) ذكر الشيخ عبد الكريم الخضير أن رجلاً من مدينة الرياض كان صائماً يوم عرفة فأبصر عبر الشاشة الجموع تتحرك إلى ربوع عرفة فحركه الشوق وغالبتة الدمعة وحنَّ إلى تلك المشاعر فطلب من ابنه أن يلحقه بهم فتحرك من مدينة الرياض وأدرك الحجيج بعرفة.

فله ما أعظم خبر النفوس الراغبة، والقلوب الطاهرة، ولم لا يعظم الشوق فيها، وتعظم الرغبة عندها والأجر عظيم، والرب كريم والغنيمة ميلاد إلى جنة عرضها السموات والأرض.

فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «ما أهل مهل قط ولا كبر مكبر قط إلا بشر بالجنة»^(٢).

وعنه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم

(١) مجلة البيان العدد: ١٦٠ ذو الحجة ١٤٢١ - مارس ٢٠٠١

(٢) رواه ابو داؤد الطيالسي و حسنه الألباني



ولدته أمه»^(١).

أسأل العلي العظيم الواحد الأحد الفرد الصمد أن يرزقنا الوفود إلى بيته
الحرام ويجعلنا من المقبولين بمنه وكرمه.





﴿ مدرسة الحج ﴾

استوقفتني بعض المشاهد المؤثرة لشعيرة الحج تلك العبادة العظيمة وذلكم المنسك المبارك الذي منَّ الله به على أمة الإسلام فهو نفحة ربانية وهداية إلهية.

✽ المشهد الأول :

تأملت جموع الحجيج وهم يقدون إلى بيت الله الشوق يحدوهم والأمانى تصحب خطوهم فلا تسل عن حديث النفس بالوصال ولا تسل عما يرتسم على محيَّاهم من فرحة تغمر الفؤاد وسرور يطفح على الوجه وبهجة تحيل الكون كل الكون من حولهم فرحاً وسروراً عندما يشرع أحدهم في الوفود ويلهج بالتلبية لبيك اللهم لبيك ... فلا تسل كم من دموع الفرح قد ذُرفت كيف لا وهو هتاف إلى بيت الله الحرام كيف لا وهم وفود إلى الله.

وارفق بنا إن القلوب صوادي
ما بين خاف في الضلوع وباد
سفرأً يجوب مفاوز الآماد
تطوافنا تبقى حروف بلاد
وامنحه وجدان المحب وناد
وتعطَّرت منها ربوع الوادي
وتناثرت فيها طيوف وداد
هلا سمعت هناك شدو الشادي
تهدي إلى الدنيا براعة هاد
تذكي المشاعر روعة الإنشاد

هتف المنادي فانطلق يا حادي
تتجاذب الأشواق وجد نفوسنا
وتسافر الأحلام في أرواحنا
ونطوف آفاق البلاد فأين في
هتف المنادي فاستجب لندائه
لبيك فاح الكون من نفحاتها
لبيك فاض الوجد في قسماتها
لبيك فاتحة الرحيل وصحبه
هذا الرحيل إلى ربوع لم تزل
هذا المسير إلى مشاعر لم تزل

إنه الشوق إلى أرض الرحمات إنه الشوق إلى أرض العطايا والهبات فحق
للفوس أن تتوق وحق للأرواح أن تحلق أملاً في الوصال:

كم هزني الشوق يا خير الديار وكم	عانيت بعدك وجدًا دائم السبب
إلا إليك، أرى الأشواق تقعد بي	وعند ذكرك أشواقي تحلق بي
وعند ذكرك أنسى أنني بشر	وكالملائك أحيًا في المدى الرحب
فتبدعين كياني من تقى وهدى	فلا أحس بما ألقاه من وصب
ما غير زورة بيت الله ترجع لي	شباب روحي إذا امتدت به يد النوب
ربي حنانيك فاكتبها وخذ بيدي	كي يهتف القلب يا فوزي ويا طربي

و قد مر بك أخي المبارك في الصفحات الماضية بعض قصص المشتاقين
إلى البلد الأمين :

✽ المشهد الثاني :

مشهد قوم لم يظفروا بهذا المنسك ولم يعدو العدة له أبصروا قوافل الحجيج
وهي تفد على الله فلا تسل عن ما اعتراهم من الحزن والأسى والبكاء والنحيب
كأنى بأحدهم يخاطب قوافل الحجيج :

خذوني خذوني إلى المسجد	خذوني إلى الحجر الأسود
خذوني إلى زمزم علها	تبرد من جوف الموقد
دعوني أحط على بابه	ثقال الدموع وأستنجد
فإن أحيًا أحيًا على لطفه	وإن يأتني الموت أستشهد

أي مشهد يبعث الحزن للقاعدين عن الوفود إلى بيت الله كمشهد قوافل
الحجيج بحدائها الشجي وبمنظرها البهي فحق للقلوب أن تحزن وحق للجفون



أن تعاف الغمض وحق للعيون أن تذرف الدمع أسفًا على فوت الرحيل إلى أرض الحجيج.

يا راحلين إلى منى بقيادي	هيجتموا يوم الرحيل فؤادي
سرتم وسار دليلكم يا وحشتي	الشوق أقلقني وصوت الحادي
حرمتموا جفني المنام ببعدمكم	يا ساكنين المنحنى والوادي
و يلوح لي ما بين زمزم والصفاء	عند المقام سمعت صوت منادي
ويقول لي يا نائم جد السُرى	عرفات تجلوا كل قلب صادي
من نال من عرفات نظرة ساعة	نال السرور ونال كل مرادي
تالله ما أحلى المبيت على منى	في ليل عيد أبرك الأعياد
ضحوا ضحاياهم وسال دماؤها	وأنا المقيم قد نحرت فؤادي
لبسوا ثياب البيض شارات الرضا	وأنا المملوع قد لبست سوادي

❖ المشهد الثالث :

نظرت إلى المشاعر بعد غروب آخر يوم من أيام التشريق فهالني ما رأيت من حزن عظيم خيم على وجهها الأبيض الوضاء، ودمعها يُهراق على خديها حزنًا على فراق ضيوفها ضيوف الرحمن، وفي المقابل أبصرت الضيوف والبعض منهم يجهد بالبكاء ويكثر النحيب على فراقها، فقلت في نفسي وقد اعتراني ما اعتراهما: ما أصعب لحظات الفراق كيف وهو فراق الحبيين، ووداع العاشقين، قاطعت حديث النفس واتجهت إليهما قائلاً: هونا عليكما، وكفكفا دمو عكما، وأقلا عليكما من البكاء، فَمَا قَريب يكون اللقاء، فعجلة الأيام تهول بسرعة مذهلة، كانت هذه الكلمات نعم السلوى لهما فتفرقا وبهما من الشوق ما لا يعلمه إلا الله.

تداعت رفاقا بالرحيل فما ترى سوى دمع عين بالدماء مزجناه

ولفرقة بيت الله والحجر الذي
وودعت الحجاج بيت إلهها
فله كم باك وصاحب حسرة
فلو تشهد التوديع يوماً لبيته
فما فرقة الأولاد والله إنه
فمن لم يجرب ليس يعرف قدره
لقد صدّعت أكبادنا وقلوبنا
ووالله لولا أن نؤمل عودة

لأجلهما صعب الأمور سلكناه
وكلهم تجري من الحزن عيناه
يود بأن الله كان توفاه
فإن فراق البيت مر وجدناه
أمر وأدهى ذلك شيء خبرناه
فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه
لما نحن من مر الفراق شربناه
إليه لذقنا الموت حين فجعناه

بعد هذه المشاهد المؤثرة بادرني سؤال ما سر هذا الشوق؟ ولماذا كل هذا الحنين؟ لماذا يختص الحج بكل هذا؟ وما سر تعلق القلوب بهذه العبادة؟

❖ والإجابة على هذه الأسئلة يطول شرحها لعلها أجملها في أمرين :

الأول: أن منسك الحج يرتبط بالوفود إلى بيت الله وهذا البيت فيه خاصية الجذب لقلوب المؤمنين فهو مغناطيس الأفتدة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾^(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ معلقاً على هذه الآية: ولو لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾^(٢) لكفى بهذه الإضافة فضلاً وشرفاً، وهذه الإضافة

(١) سورة آل عمران ٩٦-٩٧.

(٢) سورة الحج ٢٦.



هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حباً له وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا، فلا الوصال يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل:

أطوف به والنفس بعد مشوقة	إليه وهل بعد الطواف تداني
وألثم منه الركن أطلب برد ما	بقلبي من شوق ومن هيمان
فو الله ما ازداد إلا صبابة	ولا القلب إلا كثرة الخفقان
فيا جنة المأوى ويا غاية المنى	ويا منيتي من دون كل أمان
أبت غلبات الشوق إلا تقربا	إليك فمالي بالبعاد يدان
وما كان صدى عنك صد ملالة	ولي شاهد من مقلتي ولسان
دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا	فلبى البكا والصبر عنك عصاني
وقد زعموا أن المحب إذا نأى	سيبلى هواه بعد طول زمان
ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا	دواء الهوى في الناس كل زمان
بلى إنه يبلى والهوى على	حاله لم يبله الملووان
وهذا محب قاده الشوق والهوى	بغير زمام قائد وعنان
أتاك على بعد المزار ولو ونت	مطيته جاءت به القدمان

الثاني: أن هذه العبادة الجليلة مدرسة عظيمة تحمل في طياتها الكثير والكثير من الدروس والعبر التي يتربى عليها المسلمون جميعاً أفراداً وشعوباً وأمماً فلو تتلمذ المسلمون على مدرسة الحج حق التلمذ لبدل الله حالهم من بعد الذل عزة ومن بعد الخوف أمناً وقل من يفيد من هذه المدرسة وقل من يعي دروسها وعبرها ولذا وجب بيان هذه الدروس وتجليتها للمسلمين علّهم يأخذون ولو بعض من تلك الدروس :

✽ أولاً: الحج تجديد للعهد مع الله

يستشعر الحاج أنه قد عاهد الله بقوله: «لبيك اللهم لبيك» ألا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئاً ويؤدي الواجبات التي أمر الله بها وينتهي عن كل ما نهاه الله عنه ويحذر من النكوص بعد الاستقامة ومن الحور بعد الكور.

ما أجمل أن يجعل الحاج حجه انطلاقة للطاعة على الدوام ويعقد العزم على ألا يعود إلى المعصية بعد أن لبي نداء ربه فقد قال لبيك لبيك يا ربي فقد أبت إليك وانطرحت بين يديك أنا بك وإليك لبيك يا ربي فلن أعود إلى المعصية بعد إذ هديت:

إلهنا ما عدلك	مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك	لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك	لولاك يا ربي هلك
لبيك إن الحمد لك	والملك لا شريك لك
والليل لَمَّا أن حلك	والسابحات في الفلك
وكل من أهل لك	سبح أو لبي فلك
يا مخطأ ما أغفلك	عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك	لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	والحمد والنعمة لك

✽ ثانياً: رحلة الحج تربية على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ :

تتجلى العناية بالتوحيد وبيان أهميته أن الحكمة من بناء البيت إنما هي



توحيد الله **جَلَّ وَعَلَا** وجُعِلَ قِصْدُ النَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ لِإِذْكَاءِ شَعِيرَةِ
 توحيد العبادة وخلوصها لله سبحانه لا شريك له: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ
 الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ﴾ (٣٦) (١)

والمتمأمل للأعمال والأذكار التي يقوم بها الحاج خلال رحلة الحج يجد أنه
 يلهج بتوحيد الله **عَزَّجَلَّ** من أول منسكه إلى نهايته كما في حديث جابر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في
 وصف حجة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «فأهل بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك
 لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك» (٢).

فمدرسة الحج تدعو المسلم إلى أن يراجع نفسه في أمور كثيرة خالف
 فيها التوحيد فتدعوه هذه الرحلة لتصحيح مسار حياته والعودة به إلى التوحيد
 الخالص.

يردد الحاج ألفاظ التوحيد في أيام معدودات فتلامس شغاف قلبه فينبذ الشرك
 بجميع أنواعه فمن كان يدعو غير الله وينذر لغيره ويذبح لغيره ويطلب جلب
 النفع ودفع الضر من غيره سبحانه يتربى في مدرسة الحج على البراءة من ذلك
 كله وصرف جميع العبادات لله وحده فيتذوق صفاء التوحيد ونقاؤه.

ولذا يجب على الدعاة إلى الله **عَزَّجَلَّ** أن يستغلوا هذه الفرص العظيمة لدعوة
 الحجيج إلى توحيد الله ونبذ الشرك بجميع أنواعه وصوره.

(١) سورة الحج ٢٦

(٢) رواه مسلم

❁ **ثالثاً: التربية على الاقتداء والتأسي بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

مدرسة الحج تربي المسلم على الاقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعة هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع شؤون الحياة استجابة لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خذوا عني مناسككم» فهذا الحديث تربية للحاج على التزام هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع ما يأتي وما يذر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾^(١) فمدرسة الحج تربي المسلم على أن الخير له والفلاح في العودة إلى هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأمة الإسلام اليوم في أمس الحاجة إلى أن تعود إلى ذلك الإرث العظيم لتستعيد عزها ومجدها المفقود.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

في مدرسة الحج يتذوق المسلم لذة الاتباع ونعيم التأسي وحلاوة الاقتداء وينفك من أسر البدعة وقيودها وتنجلي عنه ظلمتها فيسعد بالنور بعد الظلمة وبالسعة بعد الضيق وباليسر بعد العسر فيحدث نفسه بترك جميع البدع وإعادة صياغة حياته من جديد يرتضع من لبان الوحي ويغترف من معين السنة فيرتوي بعد طول ظمأ ويحدث نفسه بري يوم القيامة يوم أن يرد على حوض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يهتف بالمتبعين لستته: «أَلَا هَلُمَّ، أَلَا هَلُمَّ، أَلَا هَلُمَّ» فيشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

(١) سورة الأحزاب ٢١.

❁ رابعاً: الأخوة الإسلامية:

مدرسة الحج تربي على الأخوة الإسلامية فالحاج يستشعر معنى الأخوة الإسلامية، من خلال لقائه بإخوانه المسلمين من شتى بقاع الأرض، ومن كل قطر ومصر يراهم وقد تصافحت أيديهم وتآلفت قلوبهم، يظهر بعضهم لبعض المحبة، والعطف، والتعاون، والتسامح، شعارهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمراً بحقوق الأخوة الإيمانية: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً المؤمن أخو المؤمن، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره»^(٢)

وقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «المؤمن للمؤمن، كالبنان يشد بعضه بعضاً» وشبك **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بين أصابعه». رواه البخاري ومسلم^(٣)

نغدو ونسري في إخاء تالد	إِنْ كَيْدَ مُطَرَّفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا
عذبٌ تحدّر من غمام واحد	أَوْ يَفْتَرِقُ مَاءُ الْغَمَامِ فَمَاؤُنَا
دينٌ أقمناه مقام الوالد	أَوْ يَخْتَلِفُ نَسَبٌ يُوَلِّفُ بَيْنَنَا

(١) سورة الحجرات ١٠.

(٢) متفق عليه

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٠١



❁ خامساً: التربية على الوحدة الإسلامية:

مدرسة الحج تربي الفرد والمجتمع والأمة والعالم الإسلامي على مبدأ من أعظم مبادئ هذا الدين ألا وهو مبدأ الوحدة الإسلامية فالحاج يدرك أن ... الحج شعار الوحدة فإن الحج جعل الناس سواسية في لباسهم وأعمالهم وشعائرهم وقبلتهم وأماكنهم، فلا فضل لأحد على أحد؛ الملك والمملوك، الغني والفقير، الوجيه والحقير، الكل في ميزان واحد فالناس سواسية في الحقوق والواجبات، وهم سواسية في هذا البيت، لا فضل للساكن فيه على الباد والمسافر، فهم كلهم متساوون في البيت الحرام، لا فرق بين الألوان والجنسيات، وليس لأحد أن يفرق بينهم.

وحدة في المشاعر ووحدة في الشعائر، وحدة في الهدف، وحدة في العمل، وحدة في القول «الناس من آدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى».

أكثر من مليوني مسلم يقفون كلهم في موقف واحد، ولباس واحد، لهدف واحد، وتحت شعار واحد، يدعون ربا واحدا، ويتبعون نبيا واحدا.. فأي وحدة أعظم من هذه ^(١)

والأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى الوحدة، خاصة في هذه الأيام العصبية التي تكالبت فيها أمم الكفر على حرب الإسلام والمسلمين، والسعي الحثيث إلى زيادة تفكيكهم وتفريقهم وزرع العداوات بينهم، يأتي الحج ليذكرنا أننا أمة واحدة كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا

(١) من مقال للدكتور يحيى اليحيى بعنوان «مقاصد الحج» بتصرف.



حُفْرَةٌ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (١)

وكما قال سبحانه: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ

بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ (٢)

وكما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ (٣)

مهما فصلت بيننا الحدود وزرعت بيننا العداوات واختلفت منا الألوان واللغات

فنحن أمة واحدة ونحن جسد واحد ونحن بنيان واحد قلوب ألف بينها الله عز وجل

فكيف لا تتحد وتجتمع.

أنا الحجاز أنا نجد أنا يمن	أنا الجنوب بها دمعي وأشجاني
بالشام أهلي وبغداد الهوى وأنا	بالرقتين وبالفسطاط جيراني
وفي ربا مكة تاريخ ملحمي	على ثراها بينا العالم الفاني
في طيبة المصطفى عمري ويا ولهي	في روضة المصطفى عمري ورضواني
النيل مائي ومن عمان تذكرتي	وفي الجزائر إخواني وتطوان
فأينما ذكر اسم الله في بلد	عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني

❖ سادساً: التربية على العزة والقوة والشعور بالغلبة على مخططات الأعداء :

مدرسة الحج كما أنها تربي على الوحدة فهي بالمقابل تحدث هزيمة نفسية

عظمية للكفار فهي تحبط كل محاولات تفريق المسلمين، وتغيّر قناعة الكفار في

مدى نجاح خططهم لتفكيك المسلمين وتفريقهم، وتدخل عليهم الرعب والخوف

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال ٦٣.

(٣) سورة المؤمنون ٥٢.

والهلع من هذا الجمع الغفير الذي توحد في كل شيء، رغم تفرق البلدان، وتباين اللغات، واختلاف الألوان وتنوع الطبائع واللهجات، ويشعر المسلم بانتصاره على كيد أعدائه، تأمل بعض أقوال الأعداء وهم يفصحون عن بعض غيظ قلوبهم من مشهد الوحدة الذي يرسمه منسك الحج :

*** يقول أحد المنصرين عن مدى جدوى التنصير في البلاد الإسلامية:** سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي ما دام للإسلام هذه الدعائم: القرآن واجتماع الجمعة الأسبوعي ومؤتمر الحج السنوي.^(١)

*** ويقول مورو بيرجر في كتابه «العالم العربي المعاصر»:** إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.^(٢)

*** يقول القس سيمون:** إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية.^(٣)

*** ويقول المبشر لورنس براون:** إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا العنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له، أما

(١) إيهاج الحاج «٧٨»

(٢) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيضوا أهله «ص: ٤٢»

(٣) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيضوا أهله «ص: ٥٥»



إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظنون حينئذ بلا وزن ولا تأثير... ويكمل حديثه: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير. (١)

ويقول ج. سيمون: إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمير وتساعدهم على التخلص من السيطرة الأوروبية. (٢)

*** يقول وزير المستعمرات البريطاني قبل سبعين سنة تقريباً، سنة ١٩٣٨ م يقول:** «إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليست إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل فرنسا أيضاً، إن سياستنا تهدف دائماً إلى منع الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك، إننا في السودان ونيجيريا، ومصر، ودول إسلامية أخرى شجعنا، وكنا على صواب، نمو القوميات المحلية، فهي أقل خطراً من الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامي» (٣)

إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة لسااستهم ومفكريهم التي تنضح بالبغض والكراهية للإسلام والمسلمين، والخوف من وحدتهم وعودتهم إلى دينهم، والحرص الشديد على بقاء المسلمين متخلفين علمياً وحضارياً، وتغيب هويتهم التي تميزهم عن غيرهم، وتشعرهم بالعزة والسيادة، تأمل معي هذا التصريح لمسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢ م حيث قال: ليست الشيوعية خطراً على أوروبا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن

(١) المصدر السابق

(٢) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي «ص: ٣٨»

(٣) هموم داعية «ص: ٧٢»



عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر... فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقوي في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم. (١)

❖ سابعاً: الشعور بمعاناة المسلمين والسعي إلى إزالتها أو تخفيفها :

تربينا مدرسة الحج على أن نتألم لآلام المسلمين في كل صقع من أصقاع الأرض مهما شطت بنا الديار واختلفت الأوطان فنحن جسد واحد، عن النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٢).

وفي رواية عند مسلم «المسلمون كرجل واحد . إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»

(١) قادة الغرب يقولون دمرُوا الإسلام أبيدوا أهله «ص: ٤١»

(٢) رواه البخاري ومسلم



و عن سهل بن سعد الساعدي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»^(١).

تأتي مدرسة الحج لتزيل العزلة الشعورية التي يعيشها المسلمون حيال قضاياهم ومشاكلهم وآمالهم وآلامهم وتبدد الحصار والتعتيم الإعلامي المفروض على المسلمين.

يأتي الحج فيلتقى المسلم بإخوانه المسلمين من جميع بقاع الأرض يعايشهم ويتحسس أخبارهم ويشاركهم همومهم وأفراحهم وأتراحهم ويسمع شكائهم فينقلها إلى إخوانه المسلمين فيتجاوبون معها همًا وأرقًا ويسعون جاهدين لنجدة إخوانهم ومد يد العون لهم

إذا اشتكى مسلم في الهند أرقني	وإن بكى مسلم في الصين أبكاني
ومصر ريحانتي والشام نرجستي	وفي الجزيرة تاريخي وعنواني
وفي العراق أكف المجد ترفعني	عن كل باغ ومأفون وخوان
ويسمع اليمن المحبوب أغنيتي	فيستريح إلى شدوي وألحاني
ويسكن المسجد الأقصى وقبته	في حبة القلب أرعاه ويرعاني
أرى بخارى بلادي وهي نائية	وأستريح إلى ذكرى خراسان
شريعة الله لمت شملنا وبنت	لنا معالم إحسان وإيمان

✻ **ثامنًا: التربية على ذكر الله :**

مدرسة الحج تربي الحاج على ذكر الله، فالذكر هو أول المقاصد التي أرادها

الله من عباده في الحج قال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴿١﴾﴾.

ورحلة الحج من بدايتها إلى نهايتها ذكر الله عزَّجَلَّ، فالحاج يذكر الله بالتلبية، وخلال الطواف، وخلال السعي، ويصعد الحاج إلى عرفات ليدعو الله ويذكره، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢).

ويغادر الحاج عرفات إلى مزدلفة، إلى المشعر الحرام ليذكر الله، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾^(٣).

وهذا ما صنعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحدته، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً»^(٤).

وهو ما صنعه أصحابه من بعده قال سالم: كان عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقدم ضعفة أهله، فيقفون عند المشعر الحرام بالمزدلفة بليل فيذكرون الله ما بدا لهم ثم يرجعون^(٥).

(١) سورة الحج ٢٧-٢٨.

(٢) رواه الترمذي

(٣) سورة البقرة ١٩٨-١٩٩.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

وأيام منى ذكر لله، قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (١).

وإذا ذبح الحاج هديه ذكر الله قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ (٣). وفي حديث نبیة الهذلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله» (٤).

هذه دورة مكثفة للحاج في لزوم ذكر الله عَزَّجَلَّ يتلذذ خلالها الحاج بطعم المناجاة ويأنس بذكر الله عَزَّجَلَّ يخرج من هذه الدورة وقد تعلقت نفسه بالذكر ورطب لسانه به، فيداوم على ذكر الله ما بقي في حياته بقية.

تاسعاً: التربية على مخالفة المشركين والبراءة منهم

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ (٥) فالحج فرصة لتأصيل عقيدة الولاء والبراء في نفوس المؤمنين، خاصة أنها قد ضعفت وهزلت في نفوس كثير من الناس، فتأتي مدرسة الحج لتحيي قضية البراءة من المشركين، فقد حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مخالفتهم خلال

(١) سورة الحج ٣٤.

(٢) سورة البقرة ٢٠٣.

(٣) سورة الحج ٣٦.

(٤) رواه مسلم

(٥) سورة التوبة ٣.

رحلة حجه، فقال للناس عن المشركين: «هدينا مخالف هديهم»^(١).

«لقد لبي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتوحيد،» خلافاً للمشركين في تلبيتهم الشركية، وأفاض من عرفات مخالفاً لقريش، حيث كانوا يفيضون من طرف الحرم، كما أفاض من عرفات بعد غروب الشمس مخالفاً أهل الشرك الذين يدفعون قبل غروبها.

ولما كان أهل الشرك يدفعون من المشعر الحرام «مزدلفة» بعد طلوع الشمس، فخالفهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدفع قبل أن تطلع الشمس. وأبطل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عوائد الجاهلية ورسومها كما في خطبته في حجة الوداع، حيث قال: «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»؛ يقول ابن تيمية: وهذا يدخل فيه ما كانوا عليه من العادات والعبادات، مثل: دعواهم يا لفلان، ويا لفلان، ومثل أعيادهم، وغير ذلك من أمورهم^(٢).

ويقعد ذلك الإمام ابن القيم فيقول: الشريعة قد استقرت ولا سيما في المناسك على قصد مخالفة المشركين^(٣).

❖ **عاشراً: تربية النفس وترويضها على الصبر وتحمل المشاق :**

من أظهر الدروس التي تتضح بجلاء في مدرسة الحج التربية على الصبر وتحمل المشاق في سبيل مرضاة الله، قال تعالى: **﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**^(٤) والصبر من خير ما يوفق له المؤمن، فعن

(١) رواه البيهقي والحاكم وقال على شرط الشيخين ووافقه الذهبي

(٢) مجلة البيان العدد «٨٨» ذوالحجة ١٤١٥ - مايو ١٩٩٥

(٣) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود «٥/ ١٤٦»

(٤) سورة البقرة ١٥٣.



أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصَّبر»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وجدنا خير عيشنا بالصبر وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو.^(٢)

● فالجح درس عملي في التربية على الصبر بجميع أنواعه:

١ (الصبر على طاعة الله، صبر على الطواف والسعي، وصبر على الوقوف بعرفة وصبر على المبيت بمزدلفة، وصبر على رمي الجمار، وصبر على لزوم الذكر والدعاء ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبر على أداء الطاعات: أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية. ومفسدة عدم الطاعة: أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.^(٣)

٢ (الصبر عن معصية الله فإن الحاج يمتنع عن بعض المباحات كاللباس والطيب ووطء الزوجة وحلق الشعر وقص الأظفار وبقية المحظورات، فصبره بعد ذلك عن معصية الله من باب أولى قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٤)

(١) رواه الخمسة

(٢) عدة الصابرين ص ٩٥

(٣) مدارج السالكين «٢/ ١٥٦»

(٤) سورة البقرة ١٩٧.



٣) **الصبر على الأذى** فإن الحاج يواجهه خلال رحلة حجه صوراً من الأذى بسبب جهل الناس واختلاف طبائعهم، وبسبب كثرة الحجيج والزحام خلال أداء المناسك، كل ذلك تربية للحاج على الصبر وقد قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «ومن يتصبر يصبره الله»^(١).

٤) **الصبر في حمل دين الله والدعوة إليه**، فإن كثرة المخالفات الصادرة عن الحجاج وجهلهم بأحكام الشريعة، وسماعه لحديث الحجيج عن جهود المنصرين في بلاد المسلمين، وجهود دعاة التغريب، ودعاة البدعة والضلال، وصبرهم وجلدهم في نشر باطلهم، يدعوه ذلك إلى الشفقة على المسلمين، والصبر على تعليمهم ووعظهم، وتذكيرهم بالله ودعوتهم إليه، ولذا وجه الله نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بقوله: **﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾**^(٢): فالوصية بالصبر «هي الوصية التي تتكرر عند كل تكليف بهذه الدعوة أو تثبيت. والصبر هو هذا الزاد الأصيل في هذه المعركة الشاقة. معركة الدعوة إلى الله. المعركة المزدوجة مع شهوات النفوس وأهواء القلوب، ومع أعداء الدعوة الذين تقودهم شياطين الشهوات، وتدفعهم شياطين الأهواء! وهي معركة طويلة عنيفة لا زاد لها إلا الصبر الذي يقصد فيه وجه الله، ويتجه به إليه احتساباً عنده وحده»^(٣).

٥) **الصبر على الفتن** خاصة في هذه الأزمان التي كثرت فيها الفتن، وتتابع المحن، وأحاطت الرزايا بالإسلام والمسلمين من كل حذب وصوب، وتداعت الأمم على المسلمين تداعي الأكلة على قصعتها، مصداقاً لما أخبر به المصطفى

(١) رواه مسلم

(٢) سورة المدثر ٧.

(٣) في ظلال القرآن / ٦ / ٣٧٥٥



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحاج عندما يخالط إخوانه المسلمين ويستمع إلى أخبارهم وما يعصف بهم من محن، كل ذلك تربية له على الصبر على الفتن، ويدعوه ذلك إلى التمسك بدينه والقبض عليه كقبضه على الجمر، يدفعه للصبر ما أخبر به إمام الصابرين في الحديث الذي رواه أبو ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «إِنْ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامُ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ: بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»^(١).

وهذا زمان الصبر من لك بالتي كقبض على جمر فتنجو من البلا
ولو أن عيناً ساعدت لتوكفت سحائبها بالدمع ديماً وهطلا

❖ الحادي عشر: الثقة بنصر الله للإسلام والمسلمين:

مدرسة الحج تزرع في النفس الثقة بنصرة الدين والتمكين له، وأنه مهما طال ليل الكفر والباطل فإن فلق الصبح أو شك على الانبلاج، وما تجمع العدد الغفير من المسلمين في أيام الحج من كل فج عميق إلا بشارة بفجر جديد قريب لعز الإسلام والمسلمين، فعندما يرى الحاج وفد الحجيج حتى من البلاد التي تشن الحرب على الإسلام والمسلمين، وعندما يجالس وفود الحجيج فينقلون له تهافت الناس على الإسلام وتشوقهم إلى التعرف عليه، ويسردون أخبار التائبين والتائبات حتى في صفوف الفنانين والفنانات، تزداد ثقته ويقوى يقينه بنصر الله للإسلام والمسلمين وأن المستقبل لهذا الدين قال عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني

(٢) سورة التوبة ٣٣.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعَزَّ عَزِيزٍ أَوْ بَذَلَّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^(١).

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمَكِينِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»^(٢).

فهذه النصوص بشائر بنصرة الإسلام وتمكينه، وأن الدولة عما قريب له بإذن الله عَزَّجَلَّ، والتاريخ يشهد بذلك، والواقع المعاصر يتفجر عن ينابيع الهداية والصلاح في شتى بقاع الأرض معلناً أن المستقبل للإسلام

سنعود للدين والتأذين	سنعود للدنيا نطرب جرحها
وستنتهي للشايطي المأمون	ستسير فلك الحق تحمل جنده
تخشى الردى والله خير ضمين	بالله مجراها ومرساها فهل

❖ الثاني عشر: التربية على الدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ :

فإن مدرسة الحج تربي الحاج على الدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ، وهذا والله من أعظم وأجل ثمار الحج ومما يشحذ الهمة للدعوة إلى الله عَزَّجَلَّ في الحج أمور منها:

(١) ما يشاهده الحاج خلال رحلة الحج، من الجهل بأحكام الدين لدى كثير من الحجاج، وما يصدر عنهم من البدع والمخالفات، فيدعوه ذلك إلى دعوتهم وتبصيرهم بأمور دينهم.

(١) رواه أحمد

(٢) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني

(٢) عندما يرى الجمع الغفير الذي قدم إلى الحج من شتى بقاع الأرض مقبلين على الله، مابين داع ومستغفر وركع وساجد ومتضرع، يعلم علم اليقين أن هذا الجمع إنما أقبل على الخير ووفد إلى الحج بفضل الدعوة إلى الله عزَّجَلَّ، فيدعوه ذلك إلى المساهمة في الدعوة إلى الله.

(٣) ما ينقل إليه الحجاج من حاجة الناس إلى الدعوة إلى الله عزَّجَلَّ، وتلهفهم إلى الإسلام، ومعرفة أحكام الدين، وكثرة الداخلين في الإسلام والتائبين من المسلمين، فيحمله ذلك على محاسبة نفسه لتفريطه في الدعوة إلى الله عزَّجَلَّ .

(٤) ما ينقله إليه الحجاج من جهود المنصرين لتنصير المسلمين وحرثهم عن دين الإسلام وما يبذلونه في سبيل ذلك من تضحية بالراحة والبعد عن الأهل والأولاد، والصبر على الغربة وتحمل المشاق في سبيل نشر دين باطل محرف، فيشعر بالتقصير في حق دينه ويعقد العزم على نصرته والدعوة إليه .

(٥) تذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما قام به من الدعوة إلى دين الله عزَّجَلَّ، وأن ما نحن فيه من إيمان وهداية إنما هو بفضل الله ثم بفضل دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيدفعه ذلك إلى التأسى بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حمل هم هذا الدين ونصرته.

فما بالك إذ علم بالثواب العظيم الذي للدعاة والمنزلة الرفيعة التي أنزلهم الله إياها قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى

ما أجاب الله فيه من دعوته.

٦ (تذكره أن الدعوة إلى الله عزَّجَلَّ من أعظم الآثار التي تبقى للعبد بعد رحيله عن الحياة، فلو هدى الله على يديه حاجاً واحداً وعاد إلى بلده هادياً مهدياً فكم سينال من الأجور التي لا تنقطع، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٢) (١)

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَأَثَرُهُمْ﴾ وهي آثار الخير ... التي كانوا هم السبب في إيجادها في حال حياتهم وبعد وفاتهم، وتلك الأعمال التي نشأت من أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فكل خير عمل به أحد من الناس، بسبب علم العبد وتعليمه ونصحه، أو أمره بالمعروف، أو نهيهِ عن المنكر، أو علم أو دعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً، من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان، فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً، أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس، وما أشبه ذلك، ... وهذا الموضوع، يبين لك علو مرتبة الدعوة إلى الله والهداية إلى سبيله بكل وسيلة وطريق موصل إلى ذلك. (٢)

أخي الحاج أما وقد عزمت على الدعوة إلى الله فإن خير الأماكن بهذه البداية المباركة هو الحج فاستثمر فضل المكان والزمان واضرب لك من الخير بسهم
فمجالات الخير أكثر ومنها:

١ (احرص على دعوة الناس إلى التوحيد فإنهم في أمس الحاجة إليه، فإن العالم الإسلامي اليوم أحوج ما يكون إلى التوحيد الخالص، في زمن

(١) سورة يس ١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٩٣ -



ضرب الشرك بأطنابه في كثير من بلاد المسلمين، فاحمل مشعل النجاة وساهم في إنقاذ من استطعت من برائن الشرك والوثنية والبدعة.

٢) اجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سجية لك والزم الرفق فإنه ما كان في شيء إلا زانه وما نزع منه إلا شانه.

٣) نَوِّعْ أَسَالِيبَ دَعْوَتِكَ ما بين كلمة طيبة وخدمة وإحسان وبر وصدقة وتوزيع شريط وكتيب ورسالة وإعانة محتاج.

٤) اقرن ذلك كله بدعاء صادق مخلص لله عَزَّوَجَلَّ أن يوفق من دعوته إلى الهداية وأن يرزقك الإخلاص وأن يسدد خطوك.

✽ الثالث عشر: التربية على الأخلاق الفاضلة :

الحج مدرسة للتربية على الأخلاق الفاضلة من الحلم والعفو والصفح والتسامح والإيثار والرحمة والتعاون والإحسان والبذل والكرم والجود... فهي رحلة تسفر عن أخلاق الرجال وتسهم إسهاماً عظيماً في تعديل السلوك السيئ إلى الحسن، فكم من حاج عاد من رحلة حجه بوجه غير الذي ذهب به كيف لا وهو يطمع أن يعود من حجه مغفور الذنوب فهتاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصاحبه في كل مناسكه: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمٍ وُلِدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

✽ الرابع عشر: الانضباط :

مدرسة الحج تربية للنفس على الانضباط: «إنك حين تتأمل المناسك ترى فيها دقة عجيبة، فأنت ترى المسلم يقف عند هذا المكان من حدود عرفة، فلو وقف هنا كان داخل عرفة، ولو تأخر متراً واحداً كان خارج عرفة، ولو وقف هنا

نائماً أو صامتاً لصح حجه، ولو وقف هناك وصار يدعو ويتضرع لم يصح حجه ما الفرق بين هذا المكان وذاك؟ تراه يرمي الجمرة الأولى قبل الثانية، وبعدها العقبة، ولو رمى تلك قبل هذه لم تصح، تراه يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة ولو عكس لم يصح له الأمر، هذا اليوم يقف في عرفة، وفي الليل يبيت في مزدلفة وفي أيام التشريق يكون في منى لو رمى قبل الزوال بدقائق لكان رميه غير صحيح وكانت عبادته غير صحيحة، ولو رمى بعد الزوال لكان موافقاً للسنة، وهكذا في دفعه من عرفة وفي سائر المناسك تراها منضبطة بمكان أو وقت أو زمان أو هيئة معينة وهذا كله يربي في المسلم أن يكون منضبطاً في أوقاته وفي مواعيده»^(١).

❖ الخامس عشر: تربية الجوارح على الكف عن المعاصي :

من أعظم ما يترى عليه المسلم في الحج ضبط الجوارح وكفها عن ما حرم الله عزَّجَلَّ قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَنْتُمْ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٢) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه».

فجوارح العبد في الحج تترى على ترك الحرام والبعد عن الفسوق والآثام ومن أعظم ما يحدوها إلى ذلك ويعينها عليه ما يلي:

١ (الخوف من عدم قبول الحج فإن الحاج يحرص أشد الحرص على قبول منسكه، ولذا فهو يجتنب كل ما يمكن أن يؤثر على ذلك المنسك، ويضع

(١) محاضرة للشيخ محمد الدويش بعنوان «ليتك اللهم ليك»

(٢) سورة البقرة ١٩٧.

دائماً أمام ناظريه قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(١)

٢ (الطمع في تحقيق الثواب المترتب على الحج من مغفرة الذنوب ودخول الجنة، فهو دائم الذكر لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من حج ولم يرفث ولم يفسق عاد من حجه كيوم ولدته أمه» وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

٣ (أن جوارح العبد مشغولة بطاعة الله، فاللسان مشغول بالذكر والتلبية والتهليل والدعاء، من بداية رحلة الحج إلى نهايتها وكذلك بقية الجوارح ما بين طواف وسعي ووقوف بالمشاعر ورمي للجمار ... ينتقل الحاج من منسك إلى منسك ومن طاعة إلى طاعة.

٤ (الرفقة الصالحة فهي من أعظم ما يعين الحاج على ضبط جوارحه يذكرونه إذا نسي ويعلمونه إذا جهل ويقومونه إذا اعوج ولذا كان من أعظم ما ينبغي للحاج أن يحرص عليه خلال رحلته المباركة الرفقة الصالحة.

٥ (تذكر حرمة الزمان والمكان، فالزمان هو الشهر الحرام شهر الحج والمكان هو البلد الحرام وكفى بذلك رادعاً للجوارح عما حرم الله.

❖ السادس عشر: القدرة على التغيير:

من دروس الحج أن الإنسان بإمكانه أن يخالف ما ألفه ويمتنع عما اعتاده من العادات السيئة فهذا هو الحاج يخالف أموراً كثيرة كان قد اعتادها في حياته اليومية فهذا هو يترك اللباس ويكتفي بالإزار والرداء ويمتنع عن الطيب وحلق

(١) سورة البقرة ١٩٧.

الشعر وقص الأظفار وغيرها من المحظورات طاعة لله **عَزَّوَجَلَّ**، وها هو بيت في العراء ليلة مزدلفة قربة لله مفارقاً كل ما ألفه من الملابس والفراش الوثير.

ذلك دليل على أن المسلم يستطيع أن يغير من حاله وأنه لن يستسلم لأسر العادة.

❖ السابع عشر: التربية على محاسبة النفس :

مدرسة الحج تربي الحاج على محاسبة نفسه، فالحاج عندما يستشعر عظم الزمان والمكان ويرى بكاء الباكين وابتهاال العابدين ودموع المنيبين، يدعوه ذلك كله إلى محاسبة نفسه، على تفريطها في جنب الله، فيكون ذلك بداية توبته وأوبته إلى الله **عَزَّوَجَلَّ**، فما بالك إذا تذكر ما يفيضه الله على عباده في منسك الحج من وابل الرحمات وعظيم الهبات وتكفير الخطايا والسيئات عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: كنت قاعداً مع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مسجد منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما، ثم قالوا: يا رسول الله، جئنا نسألك فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت، وإن شئتما أن أمسك وتسألاني فعلت. فقالا: أخبرنا يا رسول الله فقال الثقيفي للأنصاري: سل، فقال: أخبرني يا رسول الله قال: جئتني تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف، وما لك فيهما، وعن طوافك بين الصفا والمروة، وما لك فيه ووقوفك عشية عرفة، وما لك فيه، وعن رميك الجمار، وما لك فيه، وعن نحرك، وما لك فيه، وعن حلقك رأسك، وما لك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك، وما لك فيه مع الإفاضة فقال: والذي بعثك بالحق، عن هذا جئت أسألك. قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفاً، ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة ومحا عنك خطيئة وأما ركعتك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل

وأما طوافك بالصفا والمروة بعد ذلك كعتق سبعين رقبة وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى سماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة يقول: عبادي جاءوني شعثا من كل فج عميق يرجون رحمتي فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرها، أو لغفرتها، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها كبيرة من الموبقات وأما نحرك فمذخور لك عند ربك وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحى عنك بها خطيئة وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فإنك تطوف، ولا ذنب لك يأتي ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى»^(١).

فما أعظم مدرسة الحج حين تهب الحاج ميلاداً جديداً يفضل على ميلاده من بطن أمه، كيف لا وهو ميلاد الهداية والصلاح فطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن تربي في مدرسة الحج فعاد من حجه مخلوقاً آخر، عاد بقلب غير الذي خرج به، عاد بعزيمة على الرشد.



(١) رواه البزار والطبراني وقال الألباني: حسن لغيره



﴿ قبيل الرحيل من أرض الحجيج ﴾

من فضل الله ومنته على عباده أن جعل لهم في أيام الدهر نفحات يتعرضون لها، يتاجرون فيها مع الله فيفيض عليهم ربهم من فضله وعظيم جوده وكرمه وبره وإحسانه، فيحصل لهم من الأجر الجزيل والخير العميم ما لا يحصيه إلا هو سبحانه، فطوبى ثم طوبى لمن تعرض لهذه النفحات وتلك الهبات فعن محمد بن مسلمة مرفوعاً: «إن في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعن أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبداً»^(١).

الحاج في رحلة إيمانية، تعرض لنفحات الله وهباته، ولد فيها من جديد فعاد كيوم ولدته أمه ونقيت نفسه من الخبث وغفرت ذنوبه وزيدت حسناته وأفيض عليه وابل الرحمة والمغفرة إن شاء الله تعالى، وها هو بعد قد أوشك على الرحيل فما الذي ينبغي عليه في ختام هذه الرحلة المباركة.

● هناك أمور ينبغي أن يحرص عليها الحاج قبيل الرحيل من أرض الحجيج منها:

✦ أولاً / التوبة والاستغفار:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّكَاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ بَرَّكَ

اللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٩٩﴾^(٢)

لمماذا أمروا بالاستغفار، أجاب على ذلك الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: «وإنما

أمروا بالاستغفار لأنهم في مساقط الرحمة ومواطن القبول ومظنات الإجابة»^(٣)

(١) روى الطبراني صحيح الجامع

(٢) سورة البقرة ١٩٩.

(٣) فتح القدير «١ / ٢٣٤»



ويذكر الإمام السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ جانِباً آخر فيقول: «والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم وهو رمي الجمار وذبح الهدايا والطواف والسعي والمبيت بمنى ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك. ولما كانت هذه الإفاضة يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومن بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق بالمقت ورد الفعل، كما أن الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال الخير»^(١)

ومن تأمل نصوص الوحيين وكلام السلف رَحْمَهُمُ اللَّهُ عن الاستغفار أدرك عظم هذه العبادة ولهج بها في هذه المواطن والأزمان الشريفة :

عن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طوبى لِمَنْ وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»^(٢).

قال الحسن رَحْمَةُ اللَّهِ: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقاتكم وفي أسواقكم ومجالسكم أينما كنتم فإنكم ما تدرعون متى تنزل المغفرة.^(٣)

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ قَالَ عِلْمَاؤُنَا: الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٩٢

(٢) رواه ابن ماجه وصححه الألباني

(٣) جامع العلوم والحكم «٢ / ٤٠٨»

الإصرار ويثبت معناه في الجنان وليس التلفظ بمجرد اللسان فمن استغفر بلسانه وقلبه مصر على معصية فاستغفاره يحتاج إلى استغفار. (١)

فينبغي للحاج في ختام حجه أن يلهج لله بالاستغفار يستشعر التقصير في حق الله عَزَّوَجَلَّ ويعلم أن من فضل الله عليه أن يوفقه للمداومة على الاستغفار.

أستغفر الله مما يعلم الله
مَا أَحْلَمَ اللهُ عَمَّنْ لَا يَرِاقِبُهُ
إِنَّ الشَّقِيَّ لَمَنْ لَا يَرْحَمُ اللهُ
كُلُّ مَسِيءٍ وَلَكِنْ يَحْلُمُ اللهُ
طوبى لمن كان من زلل
طوبى لمن حسنت منه سريره
طوبى لمن يكرها الله
طوبى لمن ينتهي عما نهى الله (٢)

❖ ثانياً: الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ :

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْمْ مِّنْ سَكْرَتِكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايْنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٣٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٠٢﴾﴾ (٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، واختلفوا في معنى ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ﴾ فقال عطاء والضحاك والربيع ابن أنس رَحِمَهُ اللهُ: كقول الصبي أبيه أمه يعني كما يلبث الصبي يذكر أبيه وأمه فكَذَلِكَ أَنْتُمْ فَالْهَجُوا بِذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قِضَاءِ الْمُنَاسِكِ.

(١) الجامع لأحكام القرآن «٤ / ٢١٠»

(٢) تطريز رياض الصالحين «١ / ٣٠١»

(٣) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠٢.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول كان أبي يطعم ويحمل الحمالات ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، والمقصود منه الحث على الذكر لله عَزَّوَجَلَّ^(١)

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى آيَةِ السَّابِقَةِ: «ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ كانت عليه لا له، وكان خسارانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله^(٢)»

و الحج إنما فرض لإقامة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مرفوعاً: «إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»^(٣).

وآخر أيام الحج أيام ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ففي حديث نُبَيْشَةَ الهذلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله»^(٤).

فالموفق من استثمر هذه الأيام القلائل للإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فأشغل نفسه بالتكبير والتهليل والتحميد لله عَزَّوَجَلَّ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ما أهل مهل قط ولا كبر مكبر قط إلا بشر» قيل يا رسول الله بالجنة قال: «نعم»^(٥).

(١) تفسيران كثير «١ / ٥٥٧»

(٢) الوابل الصيب ص ٣٩

(٣) رواه الترمذي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الأرناؤوط.

(٤) صحيح مسلم.

(٥) رواه الطبراني وحسنه الألباني

* ثالثاً: الشكر لله:

ينبغي للحاج أن يستشعر نعمة الله عليه في توفيقه للحج وتيسيره له وهدايته لأداء المناسك فإنها من أعظم النعم التي يشكر عليها المولى عزَّجَلَّ فما أعظم منته وجوده وكرمه على عبده إذ بلغه هذه البقاع التي تتشوق إليها كثير من النفوس وصدق الله إذ قال ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ (٥٣) ﴿٥٣﴾ «النحل: ٥٣» وحين قال: ﴿ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ (٢) وأي نعمة تعدل أن يفوز العبد بزيارة بيت ربه فيقربه سبحانه ويدينه ويفيض عليه من المغفرة والرحمات.

فينبغي للعبد أن يقابل هذا الفضل والعطاء بالشكر والثناء خاصة، فكيف إذا علمنا أنه يضاعف بالشكر المنن والعطايا ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ ﴿٧﴾ (٣)

قال أبو سليمان الداراني: استجلب زيادة النعم بالشكر واستدم النعم بخوف زوالها.

وقال السعدي رحمه الله: «واعلم أن من تفكَّر في كثرة نعم الله وتفطن لآلاء الله الظاهرة والباطنة، وأنه لا وسيلة إليها إلا محض فضل الله وإحسانه، وأن جنساً من نعم الله لا يقدر العبد على إحصائه وتعداده، فضلاً عن جميع الأجناس، فضلاً عن شكرها فإنه يضطر إلى الاعتراف التام بالنعم وكثرة الثناء على الله. (٤)»

(١) سورة النحل ٥٣.

(٢) سورة النحل ١٨.

(٣) سورة إبراهيم ٧.

(٤) بهجة قلوب الأبرار ص ٥٥

ولذا كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اجعلني لك شكاراً لك ذكراً اللهم اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك وأتبع نصحك وأحفظ وصيتك»^(١).
 وأوصى معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: «لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢).

والعبد مهما شكر الله وكرر الثناء عليه فهو عاجز عن شكر نعم الله عليه فكيف يوفيه الثناء والشكر وشكر العبد وثناؤه نعمة تحتاج إلى شكر، ولذا فقد اعترف أعظم الشاكرين بالعجز عن شكر نعم الله فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»^(٣).

إذا كان شكري نعمة الله نعمة	عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر إلا بفضلته	و إن طالت الأيام واتصل العمر
إذا مس بالسراء عم سرورها	و إن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منة	تضيق بها الأوهام والبر والبحر

❖ رابعاً: التربية على حسن الظن بالله عزَّ وجلَّ والرجاء في مغفرته :

ينبغي للعبد إذا استفرغ جهده وبذل طاقته في عبادة الله عزَّ وجلَّ واتباع هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعظم الرجاء في مغفرة الله وعفوه وفيض كرمه وجوده وإحسانه ونواله، فهو سبحانه عند ظن عبده به، عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا عند ظن عبدي

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني

(٢) رواه أبو داود والترمذي والإمام أحمد وصححه الألباني

(٣) رواه مسلم

بي فليظن بي ما شاء»^(١).

و عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٢).

وقد كان للسلف الصالح أحوال من الرجاء في مغفرة الله، فكان أبو عبيدة الخواص يقول في الموقف: وا شوقاه إلى من يراني ولا أراه، وكان بعد ما كبر يأخذ بلحيته ويقول: يا رب قد كبرت فأعتقني.

رؤي بعرفة وقد ولع به الوله وهو يقول:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له	على حمى الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته	ولا العشير ولا عشرا من العشر
هو الرفيع فلا الأبصار تدركه	سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسى إن خلوت به	في جوف ليلى وفي الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي	من لي سواك ومن أرجوه يا ذخر ^(٣)

قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: جئت إلى سفیان الثوري عشية عرفة، وهو جاثٍ على ركبتيه، وعيناه تهملان، فالتفت إلي فقلت له: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

(١) رواه أحمد والدارمي وصححه الألباني .

(٢) رواه الترمذي والإمام أحمد وصححه الألباني

(٣) لطائف المعارف لابن رجب «ص: ٢٨٧»

وروي عن الفضيل أنه نظر إلى نشيج الناس وبكائهم عشية عرفة فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانتاً^(١)، أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: والله لَلْمَغْفِرَةُ عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانتق.^(٢)

❖ خامساً: الخوف من عدم القبول :

لقد كان الصالحون يشغلهم أمر قبول العمل، فما أن يفرغ أحدهم من عمل الطاعة أو يوشك على الفراغ منها إلا ووقع عليه هم قبولها من عدمه، فقد كانوا يهتمون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله، يخافون من رده قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٣)

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قلت يا رسول الله قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه»^(٤).

قال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية والمنافق جمع إساءة وأمنا.

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كانوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل

(١) معنى دانتق: سدس الدرهم

(٢) المصدر السابق

(٣) سورة المؤمنون ٦٠.

(٤) روه ابن ماجه وحسنه الألباني

ألم تسمعوا الله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) ﴿١﴾.

و قال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم يجتهدون في العمل فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا؟.

وقال شريح القاضي: الحاج قليل، والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه:

خليلي قطاع النيافي الى الحمى كثيرٌ وأما الواصلون قليلٌ
وجوه عليها للقبول علامةٌ وليس على كل الوجوه قبولٌ

فينبغي لك أخي الحاج وأنت في نهاية رحلتك الإيمانية أن تجمع إلى حسن ظنك بالله عَزَّجَلَّ الخوف من عدم القبول، فتجمع بين الخوف والرجاء وتظهر من الافتقار والحاجة والرغبة إلى الله عَزَّجَلَّ ما يبلغك حاجتك.

❖ **سادساً: الافتقار إلى الله عَزَّجَلَّ:**

قال الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿٢﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: يخاطب الله جميع الناس ويخبرهم بحالهم ووصفهم وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

* **فقراء في إيجادهم** فلولا إيجادهم إياهم لم يوجدوا.

* **فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح** التي لولا إعدادهم إياهم بها لما استعدوا لأي عمل كان.

(١) سورة المائدة ٢٧.

(٢) سورة فاطر ١٥.



- * فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة فلولا فضله وإحسانه وتيسير الأمور لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء
- * فقراء في صرف النقم عنهم ودفع المكاره وإزالة الكروب والشدائد، فلولا دفعه عنهم وتفريجه لكرباتهم وإزالته لعسرهم لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.
- * فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية وأجناس التدبير.
- * فقراء إليه في تألههم له وحبهم له وتعبدهم وإخلاصهم العبادة له تعالى فلو لم يوفقهم لذلك لهلكوا وفسدت أرواحهم وقلوبهم وأحوالهم.
- * فقراء إليه في تعليمهم ما لا يعلمون وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه لم يتعلموا، ولولا توفيقه لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه بكل معنى وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا ولكن الموفق منهم الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه ويتضرع له ويسأله ألا يكله إلى نفسه طرفة عين وأن يعينه على جميع أموره ويستصحب هذا في كل وقت، فهذا أخرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها.^(١)

فحري بك أخي الحاج أنت في أشرف البقاع والأزمان وأعظم المناسك أن تظهر حاجتك وتذللك وفقرك إلى الله جَلَّ وَعَلَا فجموع الحجيج مفتقرة إلى الله مفتقرة إلى فضله وإنعامه، فما بهم من صحة وعافية وسعة في الرزق فمنه وحده، فهم مفتقرون إليه في دوامها ومزيدها، ومفتقرون إلى ما هو أعظم من ذلك من

(١) تيسر الكريم الرحمن ص ٦٨٧

عفوه ومغفرته وبره وإحسانه.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: «الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه»^(١).

ولتعلم أخي الحاج أن الافتقار إلى الله عَزَّجَلَّ وإظهار الحاجة إليه والذل بين يديه من أقرب الطرق الموصلة إليه سبحانه.

قال ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ: وأقرب باب دخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به ولا وسيلة منه يمن بها، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته وشهد ضرورته إلى ربه **عَزَّجَلَّ** وكمال فاقته وفقره إليه وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة وضرورة كاملة إلى ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** وأنه إن تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر إلا أن يعود إلى الله تعالى عليه ويتداركه برحمته^(٢).

وقال أيضاً رَحْمَةُ اللَّهِ: ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمراً لم أشاهده من غيره وكان يقول كثيراً: مالي شيء ولا مني شيء ولا في شيء وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

أنا المكدي وابن المكدي وهكذا كان أبي وجدي

(١) مدارج السالكين «٢/٤٤١»

(٢) الوايل الصيب ص ٧



وكان إذا أثنى عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا.

وبعث إلي في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه :

أنا الفقير إلى رب البريات	أنا المُسيكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي	والخير إن يأتنا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة	ولا عن النفس لي دفع المضرات
ولا ظهير له كي استعين به	كما يكون لأرباب الولايات
والفقر لي وصف ذات لازم أبدا	كما الغنى أبدا وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم	وكلهم عنده عبد له أتى
فمن بغى مطلبا من غير خالقه	فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه	ما كان منه وما من بعد يأتي ^(١)

وقال بعض السلف: صفة الأولياء ثلاثة: الثقة بالله في كل شيء والفقر إليه في كل شيء والرجوع إليه من كل شيء.

فما أجمل أخي الحاج أن تختم حجك بالدخول على الله من باب الفقر فتغنى بفقرك إليه وتعز بذلك بين يديه.

قال سهل التستري رَحِمَهُ اللهُ: ليس بين العبد وربه طريق أقرب إليه من الافتقار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ولما كان الفقر إلى الله سبحانه هو عين الغنى به فأفقر الناس إلى الله أغناهم به وأذلهم له أعزهم، وأضعفهم بين يديه أقواهم وأجهلهم

عند نفسه أعلمهم بالله وأمقتهم لنفسه أقربهم إلى مرضاة الله» (١)

و هكذا كان حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يظهر الحاجة والفقير والمسكنة لله عزَّجَلَّ في جميع أحواله وقد ظهر ذلك بجلاء في رحلة حجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بعرفة يده إلى صدره كاستطعام المسكين» (٢).

❖ سابعاً: إتباع الحسنة الحسنة :

من الأمور المهمة المداومة على الطاعة وإتباع الحسنة بأخرى فما أحسن الحسنة تتبعها الحسنة قال أحد الصالحين: كان الصديقون يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس يشير إلى أنهم لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير.

وما أقبح السيئة بعد الحسنة قال بعض السلف: من علامة حب الله ورضاه عن الحاج أو المعتمر أن يواصل له الطاعة بالطاعة ومن علامة عدم قبول الطاعة أن تُتبع بالسيئة.

❖ ثامناً: استشعار المعاني والحكم التي استفادها من مدرسة الحج :

استشعار المعاني والحكم التي استفادها من مدرسة الحج التي مرت معنا ويستصحب هذه المعاني والدروس العظيمة في سائر حياته ليحقق الثمرة الحقيقية من شعيرة الحج.

(١) طريق الهجرتين ص ٣٣

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى

❁ تاسعا: الدعاء:

ينبغي للحاج وهو في آخر أيام الحج أن يلهج إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** بالدعاء فقد قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ» (٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ» (٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ» (٤).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذَا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ» (٥).

وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» (٦).

(١) سورة غافر ٦٠

(٢) رواه الحاكم وهو حديث حسن.

(٣) رواه ابن حبان بسند صحيح

(٤) صحيح سنن الترمذي

(٥) صحيح سنن الترمذي

(٦) صحيح سنن الترمذي

فعليك أخي الحاج أن تكثر من الدعاء في ختام هذا المنسك العظيم ولتكثر من قول: ﴿ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١) لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْمْ مَنَسِكَكُمُ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴾ (٢) وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٣) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) (٢)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا والآخرة وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل... إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك رضوان الله ودخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفرع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام وقد وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (٣).

وسأل قتادة أنساً أي دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يقول: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» (٤).

(١) سورة البقرة ٢٠١

(٢) سورة البقرة ٢٠٠-٢٠٢

(٣) رواه البخاري

(٤) رواه الإمام أحمد.

وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيها. رواه مسلم^(١)

وأن يكثر من سؤال الله **عَزَّجَلَّ** أن يتقبل الله منه حجه وأن يلهج إلى الله **عَزَّجَلَّ** أن يثبته على الهداية والطاعة حتى يلقاه ويستعيد بالله من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور والضلال بعد الهدى ويكثر من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» ومن قول «يا ولي الإسلام وأهله ثبتني عليه حتى ألقاك» ومن قول «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(٢).

ومن قول: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٣).

عاشراً: التأداب بآداب العودة من السفر:

ينبغي للحجاج وهو في آخر أيام الحج أن يتعرف على آداب العودة من السفر كما في السنة النبوية ومنها:

١ (التبعجل في العودة وعدم إطالة المكوث لغير حاجة لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه فإذا قضى نهمه فليعجل إلى أهله».

(١) تفسير ابن كثير «١/ ٥٥٨»

(٢) رواه مسلم

(٣) صحيح سنن أبي داود

- (٢) أن يقرأ دعاء السفر ويزيد في آخره «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون».
- (٣) التكبير على كل شرف من الأرض لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: «لا إله إلا الله لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده»^(١).
- (٤) يسن للعائد من السفر إذا رأى بلده أن يسرع بدابته أو سيارته لما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنه كان إذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته وإن كانت دابة حركها»^(٢).
- ويستحب له إذا رأى بلده من بعيد أن يقول: «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون» ويكرر ذلك لما جاء عن أنس بن مالك قال: «أقبلنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنا وأبو طلحة وصفية رديفته على ناقته حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون» فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة»^(٣).
- (٥) ألا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة وذلك لما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً»^(٤).
- وهذا النهي لا يشمل من أخبر أهله بوصوله وأنه يقدم وقت كذا.

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه مسلم

(٤) رواه البخاري



٦ (يستحب إذا قدم من سفره أن يتلقى بالولدان من أهل بيته وذلك لما جاء من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قدم من سفر تلقى بنا قال: فتلقى بي وبالحسن أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه حتى دخل المدينة»^(١).

٧ (يستحب في حق من يستقبل المسافر أن يعانقه لما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانوا إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا»^(٢).

٨ (يستحب لمن قدم من سفر أن يتجه إلى المسجد قبل أن يذهب إلى بيته فيصلّي فيه ركعتين لحديث كعب بن مالك «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين»^(٣).

٩ (يشرع لمن دخل على أهله قادمًا من سفر أن يقول: «توبًا توبًا لربنا أوبًا لا يغادر حوبًا»^(٤).

١٠ (الهدية من المسافر: الهدية أمر مشروع بين المسلمين وهي وسيلة من وسائل الود والتصافي وطريقة من طرق الإكرام والتفضل تبهج بها قلب الأم وتكسب بها رضى الأب وتدخل بها السرور على الزوجة وتطيب بها نفوس الأبناء والبنات ويدخل عليهم من الفرحة والبهجة والسرور ما لا يعلمه إلا الله ولهذا ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «تهادوا تحابوا وتذهب الشحناء»^(٥).

(١) رواه مسلم

(٢) رواه الطبراني والبيهقي وحسنه الألباني

(٣) متفق عليه

(٤) رواه ابن السني وصححه الألباني

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد. وحسنه ابن حجر

وقد قال أبو العتاهيه :

هدايا الناس بعضهم لبعض
وتزرع في القلوب هدى ووداً
تولد في قلوبهم الوصالاً
وتكسوهم إذا حضروا جمالاً

وقال آخر :

إن الهدية حلوة
تدني البغيض من الهوى
و تعيد مضطغن العداوة
كالسحر تجتذب القلوبا
حتى تصيره قريباً
بعد نفرته حبيباً

ومن المعلوم أن الأهل والأولاد يرتقبون من أبيهم وقريبهم إذا قدم من سفر أن يقدم لهم شيئاً من الهدايا ولهذا ورد في المثل: إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجراً.

وقد ذكر أن أحد الحجاج عاد إلى أهله فلم يقدم لهم شيئاً فغضب واحد منهم وأنشده شعراً فقال:

كأن الحجيج اليوم لم يقربوا مني
أتونا فما جادوا بعود أراكة
ولم يحملوا منها سواكاً ولا نعلأً
ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلاً

فجميل بك أخي الحاج في ختام رحلتك الميمونة وسفرك المبارك أن تحمل إلى أهلك وأقاربك بعض الهدايا التي تدخل عليهم السرور وتزيد من فرحهم بقدمك وقد صح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم...»^(١).



(١) رواه الطبراني وحسنه الألباني.

﴿ الخاتمة ﴾

ختاماً أخي الحاج اعلم أن الأعمال بالخواتيم وأن من أحسن فيما بقي غفر له ما سلف واحذر أن تعود إلى المعصية بعد أن تذوقت لذة الطاعة ولا ترجع إلى ارتضاع ثدي الهوى بعد الفطام، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه كما قال سبحانه ﴿ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

ودونك ما سطرته في الصفحات السابقة علّها أن تسهم في توفيقك لحسن الختام وهو جهد المذنب المقصر العبد الفقير ولا تنسنا من دعوة صالحة أسأل الله العلي العظيم أن يختم لي ولك بالخاتمة الحسنة

اللهم يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم اجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أعمارنا وأواخرها وخير أيامنا يوم نلقاتك فيه اللهم ثبت قلوبنا على طاعتك يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا عليه حتى نلقاتك وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





{ الفهرس }

الصفحة	الموضــــــــــــــــوع
٥	المقدمة
٨	غنائم الوفود
١٤	ميلاد إلى الجنة
٢١	أشواق
٣١	مدرسة الحج
٦٠	قبيل الرحيل من أرض الحجيج
٧٩	الخاتمة



التصميم الداخلي للكتاب

للتواصل: @abuhanyean

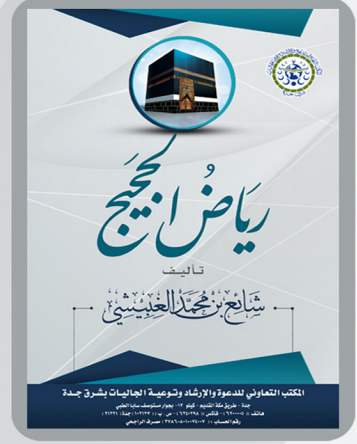
Tharwat Sultan

القاهرة - جمهورية مصر العربية 00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com

هدف هذه الرياض أن تحج ببدنك وقلبك تنتقل
من روضة إلى روضة تتذكر بها سير الأولين وسنن
السابقين وكلك أمل أن تلحق بهم وتنضم إلى
ركبهم فتذوق ما ذاقوا .

رياض الحجيج تعرفك السبيل إلى ميلاد القلب
وحياة الروح والخلص من ركام الذنوب وثقل
الخطايا .



رياض الحجيج ترسم لك طريق الحج المبرور الذي يكون مهرك لجنة
عرضها السموات والأرض .

رياض الحجيج تحلق بك في عالم المشتاقين وتظلك بأفياء العاشقين
فتملاً القلب شوقاً إلى ما اشتاقوا إليه .

رياض الحجيج تستكشف لك أسرار رحلة الحجيج ودروسها وحكمها
وتأخذ بك لتذوق لذة تلك المعاني لتصبح واقعاً تعيشه في حياتك .

هذه بعض معالم رياض الحجيج أضعها بين يديك لتكون حاديك في
رحلتك إلى بلاد الأمن والبركات والأنس والمسرات بلاد أفراح الدنيا
وطريقك لأفراح الآخرة .



 www.dawaa.org

 @sharq_jeddah

 مكتب شرق جدة